سَمَوْتُ إلى العُلا وَعَلَوْتُ حَتى
رَأيْتُ النّجْمَ تَحتي وَهْوَ يجرِي[١]
وَقَوْماً آخَرِينَ سَعَوْا وَعَادوا
حَيَارَى مَا رَأوْا أثَراً لأثرِي[٢]

أنا الموت

يتوعد قوماً بالحرب:

[الطويل]

إذا لم أُرَوّي صَارِمي من دَمِ العِدا،
وَيُصْبِحُ من إفرِنْدِهِ الدّمُ يَقْطرُ[٣]
فَلا كُحِلتْ أجفانُ عَيْني بالكرَى؛
وَلا جاءني من طَيْفِ عَبْلَةَ مُخبرُ[٤]

= ليصوّب له سهام المكائد، فالشاعر رفيع القدر في ذاته لما يتمتّع به من مواهب ساعدته على بلوغ المجد. والناس يفتخرون بتوافه الأمور أما هو فإنه فتى الميدان والجلاد إذا كان لسيفه الكلمة الفصل.

(١) لقد بلغ الشاعر سماء المجد، فإذا به يشع في العلاء على بني جنسه حتى النجوم راحت تستمد النور والضياء لإشعاعه وبريق مجده.

(٢) وثمّة من سعى جاهداً لبلوغ ما بلغه الشاعر من مجد فعادوا حيارى هلكى يشترّون عجزهم وضعفهم ولم يقتدوا به حتى يدركوا ما أدركه، فرجعوا تمزّقهم الحسرات وتتآكلهم الغيرة.

(٣)، (٤) الصارم: السيف البتّار. الإفرند: جوهر السيف ووشيه. إن من أسباب إغفاءة الشاعر إعطاء السيف حقّه من إروائه من دم الأعداء حتى يقطر إفرنده من دمائهم، حينئذٍ يرتاح باله فيغفو مطمئنّ النفس ويأتيه طيف عبلة يعلمه مقدار حبّها له وإعجابها به.

إذا مـا رَآنـي الـغُـرْبُ ذَلّ لـهَـيْـبَـتـي
وَمـا زَالَ بـاعُ الـشّـرْقِ عَـنـيَ يُـقـصـرُ[١]
أنـا الـمَـوْتُ إلا أنّـنـي غَـيـرُ صَـابِـرٍ
عَـلـى أنْـفُـسِ الأبْـطـالِ وَالـمـوْتُ يـصْـبـرُ[٢]
أنـا الأسـدُ الـحـامـي حِـمـى مَـنْ يَـلـوذ بـي،
وَفِـعْـلـي لـه وَصْـفٌ إلـى الـدهـرِ يُـذكـرُ[٣]
إذا مـا لَـقِـيـتُ الـمَـوْتَ عَـمّـمْـتُ رَأسَـهُ
بـسَـيْـفٍ عـلـى شُـرْبِ الـدِّمـا يَـتـجـوْهَـرُ[٤]
سَـوَادي بـيـاضٌ حـيـنَ تَـبْـدو شَـمـائِـلـي
وَفِـعـلـي عـلـى الأنْـسـابِ يـزْهـو وَيَـفـخـرُ[٥]

---

(١) الغراب رمز الشؤم والغربة، تُرعبه هيبة الشاعر، فتتراخى قُواه فينقاد لإرادته، والشوق تقصر همّته فلا يدرك منتهى آماله ويبقى عاجزاً.

(٢) يفخر الشاعر بأنه الموت فهو لا يصبر على ملاقاة الأبطال، فهو يطلبهم ليقضي عليهم، بينما الموت يصبر عليه فلا يُلاحقه ليقضي عليه.

(٣) إنه الأسد بما يتمثّل به من نبل وشجاعة ومهابة وحماية فمن استعان به نجا، ومن أنكر عليه ذلك هلك. سوف يظلّ ذكره خالداً إلى آخر الدهر يتحدّث بحسن فعاله ومكارم أخلاقه.

(٤) ومن المغالاة أن الشاعر إذا التقى الموت قضى عليه بسيفه، فكلّما شرب دماء الأبطال لعطشه لذلك كلّما بدا معدنه الأصيل فلمع كالجوهر يسطع إشراقاً وضياءً.

(٥) إن ما يمحو سواد لونه بيض شمائله وصفاته، وأفعاله تعلو كلّ من يفتخر بنسبه ولا يعمل على علو شأنه في هذه الحياة، فما ورثه عالة عليه يُتعب كاهله.

ألا فَـلْـيَـعِـشْ جـارِي عـزِيـزاً، وَيَـنْـثـنـي
عَـدُوّي ذَلـيـلاً نـادِمـاً يَـتَـحَـسّـرُ[١]

هـزَمـتُ تـمـيـمـاً ثـمّ جَـنْـدَلْـتُ كَـبْـشَـهـم
وَعُـدتُ وَسـيـفـي مـن دمِ الـقـوْمِ أحـمـرُ[٢]

بَـني عـبـسَ! سُـودوا فـي الـقـبـائـل وَافـخـرُوا
بـعـبـدٍ لـهُ فَـوْقَ الـسّـمـاكَـيـنِ مِـنْـبـرُ[٣]

إذا مـا مُـنـادي الـحَـيّ نـادَى أجَـبْـتُـهُ
وَخَـيْـلُ الـمَـنَـايـا بـالـجَـمـاجِـمِ تَـعْـثُـرُ[٤]

سَـلِ الـمَـشْـرَفـيَّ الـهِـنـدوَانـيَّ فـي يـدي
يُـخَـبِّـرْكَ عَـنـي أنّـنـي أنَـا عَـنْـتَـرُ[٥]

---

(١) والناس بين أمرين، فجار الشاعر عزيز يقوى بمنعة مجيره، والعدوّ ذليل تنزل بساحته المصائب والويلات من لدن عنترة.

(٢) يعدّد الشاعر انتصاراته، فقد أوقع بتميم دماراً وخراباً وقضى على بطلهم وسيدهم في المعمعة، وقد تكلّل سيفه بدماء القوم فعاد أحمر لكثرة ما سفك من دمائهم.

(٣) يخاطب الشاعر بني عبس ويدعوهم بأن يفتخروا بفارسهم الذي تخطّى النجوم بحسن فعاله. وما يدلّ على أن القصيدة منحولة ذكر كلمة «عبد» وعنترة اجتهد باستمرار نفي العبودية عن نفسه، وإن أقرّ بسواد لونه؛ وذلك لا يخفى.

(٤) إن الشاعر يلبي بسرعة داعي النضال في أثناء المعركة دون تردّد أو وجل حيث يتهاوى الفرسان صرعى فيتلقّفهم الموت.

(٥) يطلب الشاعر من الناس أن يستعلموا عن حاله بسؤالهم السيف الهندي الذي يحمله فسوف يُخبرهم أن حامله عنترة الفارس البطل.